الافتتاحيّة

المعطيات الليتورجيّة في رسائل القدّيس بولس

لمحة عامّة

رئيس التحرير

مقدّمة

يحلو الكلام على القديس بولس والليتورجيا لكثرة ما تضجّ حياة هذا الرجل العظيم وكتاباتُه بروح العبادة والصلاة والتقوى، الأمرُ الذي أضحى تعليمًا يرسّخ في نفس المؤمن أُسُسَ عبادته، وفي ليتورجيا الجماعات الكنسيّة المختلفة مفاهيمها اللاهوتيّة المبنيّة بدورها على المعطيات البيبليّة.

فعندما قرّرت إدارة مجلّة بيبليا تكريس أحد أعدادها لموضوع القدّيس بولس والليتورجيّا، فَعَلَتْ ذلك إيمانًا منها بضرورة إبراز هذه الناحية الهامّة جدًّا في حياة الرسول الأعظم كما في تعليمه، في السنة التي تُحيي فيها الكنيسةُ الجامعة الذكرى الألفيّة الثانية لمولده.

الموضوعات الليتورجيّة في رسائل القدّيس بولس عديدة لا بل شاملة، وفي ما يلي أهمّها:

يـوم الـربّ

١/أ– في ١ كو ١٦: ٢٢، يُورِد القديس بولس العبارة الكنسيّة والليتورجيّة بامتياز، : «**مارانا تا**»، وهي «تعبير آراميّ دخل على الليتورجيا المسيحيّة الأفخارستيّة، وتعني: «ربَّنا، تعال»، وتختصر صلاة الجماعة التي ترجو مجيءَ يوم الربّ النهيويّ؛ لقد وَرَدَ هذا الموضوع في رو ١٣: ١٢ حيث يقول الرسول: «تناهى الليل وأقبل النهار، فَلْنَقلَعْ إذًا أعمال الظلام، ونَلْبَسْ أسلحةَ النور»؛ كذلك في فل ٤: ٥ حيث يقول: «لِيُعْرَفْ حِلْمُكم عند جميع الناس. الربُّ قريب»؛ وفي فل ٣: ٢٠: «أمّا نحن فمدينتُنا في السماوات، منها ننتظر الربّ يسوعَ المسيحَ مخلّصَنا»...

فعندما تصلّي الكنيسة في الذبيحة الإلهيّة قائلةً: «نذكر موتك يا ربّ، ونعترف بقيامتك، وننتظر مجيئَك الثاني...»، فإنّها تقوم بما أَمَرَ به يسوع الذي أوصى تلاميذه قائلاً: «إصنعوا هذا لذكري». يرتبط صُنْعُ هذا الذكر بيوم الربّ وبمجيئه، وهو موضوع إيمان الكنيسة التي تعبّر عنه في ليتورجيّتها، ودائمًا في سياق التعليم البولسيّ.

١/ب – لكنّ يوم الربّ هو أيضًا، عند القديس بولس، **يوم احتفال الجماعة بقيامة الربّ، وبالذبيحة الإفخارستيّة**؛ هو مناسبةٌ لإعلان الإيمان بتلك القيامة وبعمل الربّ الخلاصيّ، كما جاء في ١ كو ١٥: ٣–٥: «فقد سلّمتُكم أوّلَ ما سَلَّمْتُ ما أنا تَلَقَّيْتُ، أنّ المسيحَ ماتَ من أجل خطايانا، بحسب الكتب، وأنّه قُبِرَ، وأنّه أُقيم في اليوم الثالث، بحسب الكتب، وأنّه ظَهَرَ لكيفا ثم للإثني عشر»؛ أو أيضًا كما

جاء في ١ تم ٦: ١٣–١٤: «أُوصِيك في حضرة الله مُحْيي الكلّ، والمسيح يسوع الذي شهدَ بالاعتراف الحسن، في عهد بنطس بيلاطس، أن تحفظ الوصيّة بغير وَصْمَة، ولا مأخذ، حتّى ظهور ربّنا يسوع المسيح».

لقد شهد يسوع أمام بيلاطس، واعترف أنّه المسيح الملك، مُوحِي الحقّ (يو ١٨: ٣٦–٣٧)، اعترافًا حسنًا صار مثالَ اعترافِ المسيحيّ في المعموديّة، وأمام المضطهِدين، ومثالَ اعترافِ تيموتاوس أمام الشيوخ، يومَ كَرَّسُه بوضع الأيدي (١ تم ٦: ١٢؛ ٤: ١٤). هكذا تفعل الجماعة المؤمنة المصلّية، على مثال ربّها ومعلّمها، كما أيضًا على مثال بولس وتيموتاوس، بإيمانها بالله، وبابنه يسوع المسيح الذي حقّق وأنجز تصميم الله الخلاصيّ، وبالروح القدس المكمّل، «حتّى ظهورِ ربّنا يسوع المسيح» (١ تم ٦: ١٤ب)، وكلُّ ذلك في يوم الربّ الذي فيه تلتئم الجماعة.

١/ج– وهناك جانبٌ ثالث هامّ مرتبط بيوم الربّ، ألا وهو ما يورده بولس في ١ كو ١٤: ١–١٩: «إتّبعوا المحبّة، وغاروا على **الأمور الروحيّة**، وبالأحرى على أن **تتنبّأوا**» (آ ١). بالطبع، في الجماعة الليتورجيّة هناك مكانٌ هامٌّ للتنبّؤ الذي يتضمّن «كلامًا فيه بناءٌ وتعزية وتشجيع» (آ ٣)، والهدف هو «بناء الكنيسة» (آ ٥). وهنا يُدرج بولس مسألة «مواهب الروح... لبناء الكنيسة» (آ ١٢)، وهذا كلّه يتمّ أيضًا ضمن الجماعة الليتورجيّة الملتئمة في يوم الربّ.

١/د– أخيرًا لا آخِرًا، ينبغي أن نتذكّر أنّ **جمع التبرّعات** صار مرتبطًا بالاجتماع الليتورجيّ الذي يحصل في يوم الربّ، لذا يُضحي هذا الأخير مناسبةً لممارسة المحبّة بمعناها الروحيّ الساميّ.

إنّ يوم الربّ بالنتيجة هو **يوم بشارة** بما عمله الربّ لأجل البشريّة، **ويوم الشهادة** لهذا العمل العظيم.

الأسرار

يتبيّن للعارف بحياة القدّيس بولس وبرسائله أنّ للأسرار المقدّسة عنده موقعًا هامًّا، ليس بمعناه الطقسيّ العملانيّ حصرًا، بل بالمعنى اللاهوتيّ أوّلاً، وهذا ما سنتبيّنه من العرض التالي:

١/٢– العماد

ممّا لا شك فيه أنّ العماد المقدّس هو من الموضوعات الهامّة في كتابات القديس بولس، كما في رو ٦: ١–١١، مثلاً، حيث نتبيّن مدى ارتباطه بقوّة بموت المسيح وقيامته، وبموت آدم الأوّل لكي يولد آدمُ الجديد. هذا يعني بالفعل ذاته قَطْع الارتباط بالماضي الذي شكّل قطيعةً مع الله الخالق والمخلِّص، وانتماءً إلى المسيح، وبالمسيح إلى الله، الأمر الذي يعني وضْعَ حدٍّ للختانة التي كانت علامةَ الانتماء إلى شعب الله، لا بل إلى الله بالذات، من أجل العودة إلى الشراكة مع الله والانتماء إليه. هذا يعني «ولادةً جديدة من الماء والروح»، كما يعلّم بولس في تيط ٣: ٤–٧: «لكنّ الله مخلّصَنا، حين ظهرت طيبتُه ومحبّتُه للبشر، لا بأعمالِ برٍّ نحن عملناها، بل وَفْقَ رحمته، خلّصنا بغسْل ولادةٍ جديدة، وبتجديد روحِ قُدُسٍ، أفاضه علينا فيضًا غنيًّا بيسوع المسيح مخلّصنا، حتى نصيرَ، وقد بُرِّرنا بنعمته، وارثينَ وَفْقَ رجاءِ حياةٍ أبديّة».

٢/٢– عشاء الربّ

بالطبع كلّنا يعرف النصّ الرائع الذي حفظتْه لنا رسالة بولس الأولى إلى الكورنثيّين (١٠: ١٤–٢٢، وخاصّة ١١: ١٧–٣٤) حول تأسيس الإفخارستيّا، وهو، كما نعلم، أقدم نصّ حول الموضوع. المهمّ هنا هو الدافع إلى إدراج خبر تأسيس الإفخارستيّا في هذه الرسالة، وأهمّيّته بالنسبة إلى الجماعة الليتورجيّة خاصّة، والمسيحيّة عامّة.

لقد كُتب الكثير حول الموضوع، ويمكن العودة إلى ما نشرته مجلّة بيبليا من بحوث حوله.

٢/٣- وضع اليد

من أهمّ النصوص التي لدينا حول وضع اليد، هي ١ تم ٤: ١٤ حيث يقول القدّيس بولس لتلميذه تيموتاوس: «لا تهمل الموهبة التي فيك، وقد وُهِبَتْ لك بنبوءة، مع وضْع أيدي الشيوخ». يعني وضْع الأيدي في الكنيسة الأولى أمورًا عدّة: تسليمُ نعمة أو موهبة روحيّة (عب ٦: ٢)، وعلامة للبركة (مت ١٩: ١٥)، وواسطة لاجتراح أعجوبة شفاء (مت ٩: ١٨؛ مر ٦: ٥؛ ٧: ٣٢؛ ٨: ٢٣-٢٥)، وإعطاء المعمَّدين ملءَ الروح القدس (أع ١: ٥)، وتكريسًا لخدمة أو مسؤوليّة خاصّة في الكنيسة (أع ٦: ٦؛ ١٣: ٣)؛ بهذا المعنى الأخير يجب فَهْم «وضْع الأيدي» في ١ تم ٤: ١٤؛ ٢ تم ١: ٦. لقد تكرّس تيموتاوس للخدمة بوضع اليد، فنال نعمةً خاصّة ودائمة.

٢/٤- الخِدَم في الكنيسة

تفيدنا بعض رسائل القديس بولس حول الخِدَم في الكنيسة، نشير إليها بالإيجاز، وهي التالية:

٢/٤/أ - الأساقفة: «صادقةٌ هي الكلمة: مَن يصبو إلى الأسقفيّة فعملاً طيّبًا يشتهي. إذًا فيَلزَمُ الأسقفَ ألاّ يكون عليه مأخذ ...، وألاّ يكون حديثَ الإيمان ...، وأن تكون له شهادة حسنة» (١ تم ٣: ١-٧).

٢/٤/ب - الشيوخ: «ليكن الشيوخ الذين أحسنوا التدبير أهلاً لكرامة مضاعَفَة، خصوصًا الذين يتعبون في الكلمة والتعليم» (١ تم ٥: ١٧ي).

٢/٤/ج - الشمامسة: «يلزم الشمامسة أن يكونوا شرفاء...، مالكين سرَّ الإيمان بضمير طاهر» (١ تم ٣: ٩ي).

٢/٤/د - الشمّاسات: «كذلك يلزم النساء أن يكنّ شريفات...، أمينات في كلّ شيء» (١ تم ٣: ١١)؛ ويُطرَح السؤال: هل هنّ شمّاسات؟ الأمر ممكن جدًّا.

٢/٤/هـ - الأرامل: «أكرم الأرامل اللواتي هنّ حقًّا أرامل» (١ تم ٥: ٣ي).

٢/٥- الزواج

لدينا في ١ كو ٧: ١-١٦ نصّ هامّ حول مسائل تتعلّق بالزواج يعالجها القدّيس بولس متكلِّمًا على الزواج والبتوليّة، مجيبًا على أسئلة وَرَدَتْه من كورنتس. كذلك في أف ٥: ٢٢-٣٣ لدينا نصٌّ رائع حول موضوع الزواج، مع أبعاده اللاهوتيّة الغنيّة.

٢/٦- التوبة والمصالحة

يتكلّم بولس على التوبة في رو ١١: ٢٥-٣٦؛ ٢ كو ٧: ٢-٤؛ وعلى المصالحة في أف ٢: ١١-٢٢، وفي أماكن أخرى من رسائله.

الأناشيد

لدينا في رسائل القدّيس بولس العديد من الأناشيد التي يمكن أن يكون من وضعه، كما يمكن أن يكون تلقّاها من الجماعات المسيحيّة الأولى. في ما يلي بعض منها:

٣/١ - نشيد للحكمة الإلهيّة: رو ١١: ٣٣-٣٦.

٣/٢- نشيد لمحبّة الله: رو ٨: ٣١-٣٩.

٣/٣ - نشيد مسيحانيّ: فل ٢: ٦-١١.

٣/٤ - نشيد لأولويّة المسيح: كول ١: ١٥-٢٠.

٣/٥ - نشيد فصحيّ: ١ تم ٣: ١٦.

٣/٦ - نشيد عماديّ: ٢ تم ٢: ١١-١٣.

٣/٧ - نشيد للمحبّة: ١ كو ١٣: ١-١٣

٣/٨ - نشيد مبارَكَة: رو ٨: ٢٩؛ أف ١: ٣-١٤.

٣/٩ - نشيد تمجيد: رو ١٦: ٢٥-٢٧؛ ١ تم ١: ١٧؛ ١ تم ٦: ١٥-١٦.

الصلاة

أنظر ١ تس ٣: ١١-١٣؛ ٥: ٢٣-٢٥؛ ٢ تس ٣: ١-٥.

١/٤ – هناك صلوات ذات طابع جماعيّ، وأخرى ذات طابع فرديّ.

٢/٤ – أماكن الصلاة: هيكل أورشليم، المجامع اليهوديّة، البيوت، ضفاف الأنهر، الخ؛ أنظر أيضًا ٢ كو ٦: ١٤–١٨ حيث يجري الكلام على «هيكل الله الحيّ».

٣/٤ – الصلاة بالروح: ١ كو ١٤: ١٥.

٤/٤ – الصلاة الليتورجيّة: ١ تم ٢: ١–٨.

٥/٤ – الصلاة وآلات الموسيقى: ١ كو ١٤: ٧–٨.

الذبائح

١/٥ – التسميات: «ذبيحة»، «قربانة»، «عبادة»؛ ويرتبط بها الفعل «قدّم»، والصفة «مَرْضيّ»، الخ.

٢/٥ – تقدمة الذات: رو ١٢: ١ي.

٣/٥ – ذبائح الوثن: ١ كو ٨: ١–١٣.

٤/٥ – ذبيحة المسيح: ١ كو ١١: ٢٤؛ أف ٥: ٢.

٥/٥ – الذبيحة الروحيّة والعبادة اللتان يقبلهما الربّ:

– الذبيحة: رو ١٢: ١؛ ١ كو ١٠: ١٨؛ أف ٥: ٢؛ فل ٢: ١٧؛ ٤: ١٨.

– العبادة: رو ٩: ٤؛ ١٢: ١؛ ١ كو ١١: ٢٤؛ كول ٢: ٢٣.

الممارسات الليتورجيّة الأخرى

١/٦ – الختانة: أع ١٥: ١، ٥؛ ١٦: ٣؛ رو ٩: ٤–١٢؛ غل ٢: ٣؛ فل ٣: ٥؛ أف ٢: ١١.

٢/٦ – النذر: أع ١٨: ١٨؛ ٢١: ٢٦؛ رو ١٠: ١؛ رج أش ٢٨: ١٦.

٣/٦ – قصّ الشعر: أع ١٨: ١٨؛ ٢١: ٢٤؛ ١ كو ١١: ١٤.

النساء في الجماعة

– تغطية الرأس: ١ كو ١١: ١–١٥.

– اللباس المحتشم: ١ تم ٢: ٩–١٠.

– عدم التكلّم في الجماعة: ١ كو ١٤: ٣٤.

– سماع التعليم بصمت: ١ تم ٢: ١١.

– الخضوع للزوج: أف ٥: ٢٢–٢٣؛ كول ٣: ١٨–١٩.

– الرجال والنساء في الجماعة الليتورجيّة: ١ تم ٢: ٨–١٥.

جمع التبرعات

أنظر: فل ٤: ١٠–٢٠؛ أع ٢٤: ١أ؛ غل ٢: ١٠؛ ١ كو ١٦: ١–٤؛ ٢ كو ٨–٩.

إعطاء السلام

أنظر: ١ كو ١٦: ٢٣–٢٤؛ ٢ كو ١٣: ١٣؛ غل ٦: ١٨؛ أف ٦: ٢٣–٢٤؛ فل ٤: ٢٣؛ ١ تس ٥: ٢٨؛ ٢ تس ٣: ١٦–١٨؛ ٢ تم ٤: ٢٢؛ تيط ٣: ١٥ب؛ فلم ٢٥.

قراءة رسائل بولس

أنظر: ٢ كو ٣: ٢؛ كول ٤: ١٦؛ ١ تس ٥: ٢٧.

خاتمة

ممّا لا شكّ فيه أنّ معلّم الأمم ورسولها، المتجذّر في إيمان العهد القديم، والمتمرّس في الليتورجيّا العبريّة، والهائم بحبّ الله وابنه يسوع المسيح، كان مدركًا لدور الليتورجيّا في حياة المؤمن، من حيث التعليم والعبادة، لذلك أدرجها في كتاباته وفي تبشيره، كما أيضًا في عيشه. إن استعراض الموضوعات الليتورجيّة بحدّ ذاته يؤكّد صحّة ما نقول، آملين أن يُعنَى القارئ الساعي إلى المعرفة في هذا المجال بالعودة إلى الدراسات البولُسيّة العديدة التي يتمّ نشرها في أيّامنا في لغة الضادّ بوتيرة ملفتة وواعدة.

صدر حديثًا

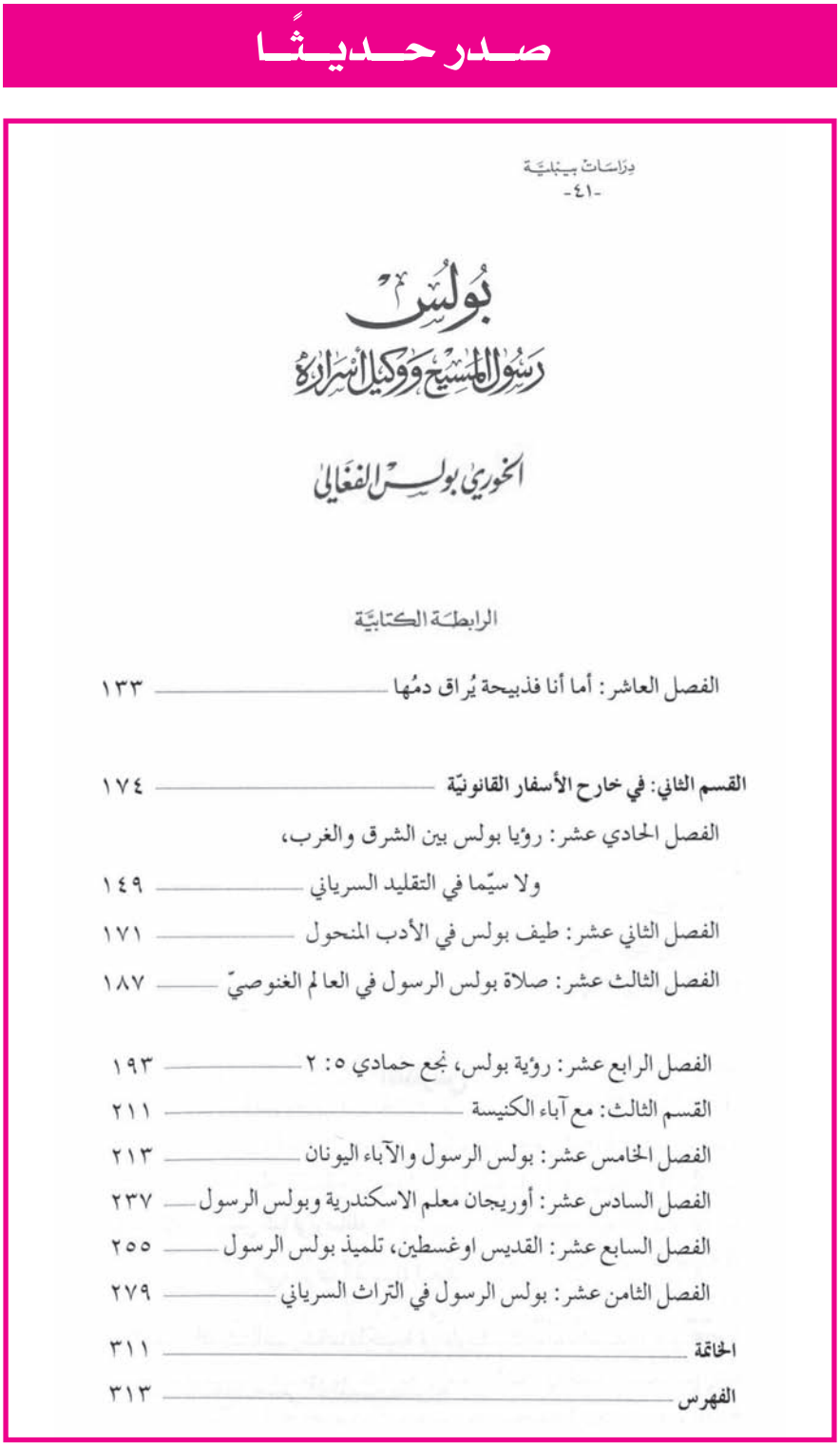

دراسات بيبلية
-٤١-

بُولُس
رسول المسيح ووكيل أسراره

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابيّة

الفصل العاشر: أما أنا فذبيحة يُراق دمُها ـــــ ١٣٣

القسم الثاني: في خارج الأسفار القانونيّة ـــــ ١٧٤

الفصل الحادي عشر: رؤيا بولس بين الشرق والغرب،
ولا سيّما في التقليد السرياني ـــــ ١٤٩

الفصل الثاني عشر: طيف بولس في الأدب المنحول ـــــ ١٧١

الفصل الثالث عشر: صلاة بولس الرسول في العالم الغنوصيّ ـــــ ١٨٧

الفصل الرابع عشر: رؤية بولس، نجع حمادي ٥: ٢ ـــــ ١٩٣

القسم الثالث: مع آباء الكنيسة ـــــ ٢١١

الفصل الخامس عشر: بولس الرسول والآباء اليونان ـــــ ٢١٣

الفصل السادس عشر: أوريجان معلم الاسكندرية وبولس الرسول ـــــ ٢٣٧

الفصل السابع عشر: القديس اوغسطين، تلميذ بولس الرسول ـــــ ٢٥٥

الفصل الثامن عشر: بولس الرسول في التراث السرياني ـــــ ٢٧٩

الخاتمة ـــــ ٣١١

الفهرس ـــــ ٣١٣